مركز نماء للبحوث والدراسات
Namaa Center for Research and Studies
نماء وانتماء

namacenter

ترجمات

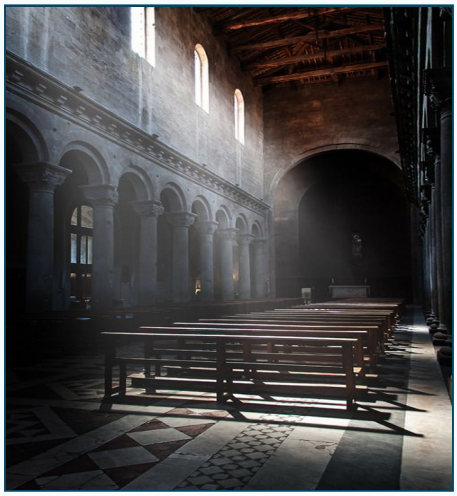

مسيحيو الفسطاط في القرون الثلاثة الأولى للإسلام:

أودري دريدي
ترجمة: مصطفى الفقي

الطب عندالمسلمين

مسيحيو الفسطاط في القرون الثلاثة الأولى للإسلام: تَشكّلُ مجتمع جديد

أودري دريدي - جامعة باريس

ترجمة: مصطفى الفقي

mostafaaelfekey@gmail.com

المحتويات

الموضوع	الصفحة
مسيحيو الفسطاط في القرون الثلاثة الأولىٰ للإسلام: تَشكّلُ مجتمع جديد	٧
مصادر تاريخ مسيحيي الفسطاط	٨
تحديد مسيحيي الفسطاط	١٠
الطوبوغرافيا المسيحية للفسطاط: نظرة عامة	١٤

مسيحيو الفسطاط في القرون الثلاثة الأولى للإسلام
تَشكّلُ مجتمع جديد

أودري دريدي - جامعة باريس

ترجمة: مصطفىٰ الفقي

> **«أول كنيسة بُنيت بفسطاط مصر . . . الكنيسة التي خلف القنطرة أيام مسلمة بن مخلد (٦٦٧-٦٨٢)، فأنكر الجند ذلك وقالوا له: أتقرّ لهم أن يبنوا الكنائس؟ حتىٰ كاد أن يقع بينهم وبينه شرّ، فاحتجّ عليهم مسلمة يومئذ فقال: إنها ليست في قيروانكم، وإنما هي خارجة في أرضهم، فسكتوا عند ذلك» ابن عبد الحكم، ١٩٢٢، ص١٣٢.**

لا يمكن اعتبار هذا الخبر الذي أورده ابن عبد الحكم، مؤرخ العصور الوسطىٰ (المتوفىٰ ٨٧١)، خبرًا مرسلًا، بل هو نموذج مُمثِّل لحالة مسيحيي الفسطاط في العقود الأولىٰ من هيمنة المسلمين. فبعد مرور أكثر من خمسة وعشرين عامًا علىٰ تأسيس العاصمة الجديدة في العام ٦٤١، ما زال المسلمون والمسيحيون يعيش بعضهم بعيدًا عن بعض داخل الفسطاط وخارجها. بعبارة أخرىٰ، علىٰ الأقل حتىٰ هذه الفترة، كانت الفسطاط مصرًا إسلاميًّا -بكل معنىٰ الكلمة- قاصرًا علىٰ الجنود العرب الذين شكلوا قوام الجُند (الحامية العسكرية) في مصر[١]. ومع ذلك، لم يكن هذا الفصل دينيًّا في جوهره. بل كان تمييزًا بين

(١) كما تكشف المصادر الأدبية والأركيولوجية، تأسست الفسطاط في موقع غير مأهول، ولكن هذا لا يعني أنه لم يكن هناك سكان محليون في المناطق المجاورة مباشرة.

الغزاة الفاتحين والخاضعين لهم، بين العرب والمصريين. في الواقع، وكما وصف ابن عبد الحكم في كتابه (ابن عبد الحكم ١٩٢٢، ص١٢٩)، استقر جنود مسيحيون أتوا من مناطق أخرىٰ في العالم الإسلامي ممن كانوا في جيش عمرو بن العاص، فاتح مصر، في حيّ معين من الفسطاط.

ومع ذلك، تبقىٰ الحقيقة التي تبينها رواية ابن عبد الحكم، وهي أن المدينة عاش بها عدد وافر من السكان الأصليين المسيحيين بحيث احتاجوا إلىٰ كنيسة لهم هناك. هؤلاء المسيحيون كانوا من بين الصفوف الأولىٰ -في موقع محتمل للأقلية العددية- التي شهدت احتكاكات دينية وثقافية مع المسلمين. ولا بد أن غالبية هؤلاء المسيحيين قد عاشوا في مدينة بابليون -المذكورة علىٰ نطاق واسع في أدبيات ما قبل وبعد الفتح الإسلامي- قبل تأسيس المدينة الإسلامية، والتي تقع في الأحياء الملاصقة مباشرة للعاصمة الجديدة. في حقبة ما قبل الإسلام، كانت الكنائس والأديرة تقع علىٰ الضفة الغربية لنهر النيل ما بين منف والجيزة، وليس داخل حصن بابليون، كما أكد العديد من الباحثين. وقد أكدت الأبحاث الأركيولوجية هذا الانفصال القديم، خاصةً الحفريات التي أجريت علىٰ مرتفعات إسطبل عنتر في جنوب الفسطاط (Gayraud ١٩٩٨)، الذي استمر حتىٰ نهاية القرن الثامن، عندما ابتلعت المدينة المتنامية المسيحيين في نهاية المطاف. وإذا كان من الصعب علينا أن نفهم الكيفية التي تحولت بها المدينة من مدينة منعزلة إلىٰ مدينة مختلطة، فإن المصادر الأدبية والوثائقية تكشف لنا عن هوية هؤلاء المسيحيين -أبعد من انتمائهم الديني- ومن أين أتوا قبل أن يستقروا في الفسطاط، وكيف تعايشوا في النهاية مع المسلمين في القرون الأولىٰ للإسلام.

مصادر تاريخ مسيحيي الفسطاط

لا شكّ أن إعادة بناء تاريخ مسيحيي الفسطاط خلال القرون الثلاثة الأولىٰ للإسلام مهمة شاقة. تعود المصادر النصية المبكرة إلىٰ القرن التاسع، بعد قرابة قرنين من فتح مصر (ابن عبد الحكم، ١٩٢٢). وهذا يثير بالتأكيد مسألة موثوقية مثل هذه الأدبيات (Crone ١٩٧٧)، التي يمكن التغلب عليها من خلال المقارنة مع المصادر المغايرة التي تنتمي إلىٰ بيئات دينية مختلفة. كما أن التراجم الأولىٰ

المذكورة في تاريخ بطاركة الكنيسة القبطية بالإسكندرية، المترجمة من القبطية إلىٰ العربية في القرنين العاشر والحادي عشر، تعد مصادر لا تقدر بثمن لفهمنا لمسيحيي مصر بشكل عام، والفسطاط بشكل خاص. فقد وصلت إلينا التراجم الخاصة ببنيامين (البطريرك من سنة ٦٢٥ إلىٰ ٦٦٤) وإسحاق (البطريرك من سنة ٦٨٩ إلىٰ ٦٩٢) (Bell 2009; Amélineau 1888) في نسختها القبطية، وتحتوي علىٰ الكثير من المعلومات المثيرة للاهتمام حول النخب المسيحية المتدينة والعلمانية، والكنائس الرئيسية في العاصمة الإسلامية، وتتناول من منظور أوسع، العلاقات بين المسيحيين والمسلمين في القرون الأولىٰ من الحكم الإسلامي في مصر. وقد أُثبِتَتْ هذه العلاقة بواسطة العديد من المصادر الإسلامية، من بينها المصدر الأول: فتوح مصر لابن عبد الحكم. كما تعتبر الكتابات التاريخية المتأخرة في الفترة المملوكية (ابن دقماق ١٨٩٣، والمقريزي ٢٠٠٢-٢٠٠٤) مفيدة أيضًا، كونها تستشهد كثيرًا بالمصادر المفقودة حول الفسطاط (مثل كتاب الخطط للمؤرخ المصري الكندي).

أيضًا يجب أن تُضاف مصادر كانت معاصرة لتلك الحقبة إلىٰ هذه القائمة غير الحصرية للمصنفات الأدبية: البرديات وحفريات الشقف. لسوء الحظ، لم تفصح الحفريات التي عُثِرَ عليها في المنطقة، أثناء عمليات تنقيب مرتفعات إسطبل عنتر، عن شيء فيما يتعلق بأحوال المسيحيين. بينما تذكر برديات صعيد مصر (Bell and Crum 1910; Rémondon 1953) وواحة الفيوم -باللغة اليونانية أو القبطية أو العربية- مدينة الفسطاط، إما بتسميتها بالفسطاط كما في حالة الوثائق العربية، أو باستخدام اسم بابليون القديم كما في الحالتين اليونانية والقبطية. تقدّم هذه النصوص معلومات مهمة، من بين أمور أخرىٰ، حول طبوغرافيا المنطقة وسكانها من المسيحيين. وتتمتع هذه الوثائق بأهمية كبيرة نظرًا لأنها تحيل إلىٰ شخصيات لا تنتمي إلىٰ النخبة المسيحية، وبالتالي غير معروفة في المصادر الأدبية. تقدّم بعض اللوحات الجنائزية القبطية (علىٰ سبيل المثال، الكاتالوج رقم ١٣) المكتشفة في القاهرة القديمة وسقارة شهادات لا تقدر (Lefebvre 1903; al-Hawary, Rached, and Wiet 1932; Hasitzka) بثمن حول تقليد مسيحي قوي في القرون الأولىٰ للإسلام. كما تزداد أهمية هذه

الوثائق نظرًا لأن معطيات الثقافة المادية للفسطاط (المشغولات والعملات المعدنية والأدوات الطبية والمنسوجات وغيرها من الأعمال الفنية) لا تميل إلىٰ أن تكون ذات طابع ديني معين (Rawska-Rodziewicz 2012; Bacharach 2002). حتىٰ عندما يحتوي أحد هذه العناصر علىٰ رموز مسيحية (نقش صليب، علىٰ سبيل المثال، كما هو الحال في الكتالوج رقم ١٤)، فإنه لا يسمح لنا باستخلاص استنتاجات مؤكدة حول المجتمع المسيحي في الفسطاط.

تحديد مسيحيي الفسطاط

تسلط هذه الحالة من ندرة الأدلة الضوء علىٰ محددات كبيرة تحيط دراستنا: تحديد المسيحي في مصادرنا يعني أن ذاك الفرد مذكور باسمه علىٰ هذا النحو. وعلىٰ الرغم من أن الهوية الدينية كانت مهمة في المجتمع المصري في العصور الوسطىٰ، إلا أن الأفراد كانوا يعرّفون أنفسهم ويُعَرَّفُونَ من قبل الآخرين وفقًا لمعايير أخرىٰ أيضًا. إضافة إلىٰ ذلك، وكما أظهرت أبحاث دراسات أسماء الأعلام (Legendre، سيصدر قريبًا)، لا يخلو استنتاج الهوية الدينية عن طريق الاستدلال بالاسم من مجازفة. وعلىٰ الرغم من أن تقديم دراسة شاملة أمر غير ممكن، إلا أن المصادر الأدبية والوثائقية تسمح لنا بتحديد المجموعات المسيحية المختلفة التي عاشت بشكل دائم أو مؤقت في الفسطاط.

لم يكن المسيحيون الأوائل الذين دخلوا الفسطاط مصريين، بل جاءوا من مناطق أخرىٰ من العالم الإسلامي -بعضهم فقط اعتنق الإسلام- وكانوا ينتمون إلىٰ جيش عمرو بن العاص. يقول المؤلفون المسلمون والمسيحيون إن هؤلاء الرجال كانوا ينتمون إلىٰ قبائل بني ينّة وبني الأزرق وبني روبيل (ابن عبد الحكم، ١٩٢٢، ص ١٢٩؛ وأبو المكارم ١٨٩٥، ص ٤٢)، وأنهم استقروا في شمال العاصمة، في منطقة تسمىٰ الحمراء. ونحن لا نعرف كثيرًا عما جرىٰ لهؤلاء المسيحيين، ولكن بحلول مطلع القرن الثامن، كان حي الحمراء مأهولًا بعدد كبير من السكان المسيحيين، ربما من الموظفين المدنيين ورجال الدين والتجار الأثرياء، ممن كانوا قادرين علىٰ إصلاح أماكن عبادتهم. بالإضافة إلىٰ ذلك، حافظوا علىٰ علاقات وثيقة مع السلطات الإسلامية: ففي عام ٧٢٥، شكا

مسيحيو الحيّ لدىٰ الحاكم تصرفات جماعة من المسلمين منعوا زوجاتهم وأطفالهم من الذهاب إلىٰ الكنيسة أثناء الصوم الكبير. أيّد الحاكم شكوىٰ المسيحيين ووضع حدًّا للموقف (أبو المكارم، ١٨٩٥، ص ١٠٣)، ومن المحتمل أنه كان متأثرًا بالدور الحيوي الذي يلعبه المسيحيون في الإدارة الإسلامية الجديدة. ولعلّ المسؤول المسيحي أثناسيوس، من مواليد آديسا (تقع حاليًّا في تركيا)، حالة ممثلة لتأثير المسؤولين المسيحيين في مجتمع الفسطاط خلال العصر الأموي. فكما ورد في تاريخ البطاركة، كان مؤدبًا خاصًّا لعبد العزيز بن مروان، الذي حكم الفسطاط من عام ٦٨٥ إلىٰ ٧٠٥، ولعب دورًا مهمًا كوسيط بين المجتمع المسيحي والسلطات الإسلامية. وعندما قرر الحاكم نقل عاصمته إلىٰ جنوب الفسطاط هربًا من الطاعون، سُمح لأثناسيوس ببناء كنيستين جديدتين كرسهما للقديسين كير وجورج.

بعد قرن من الزمان، وفي ظل خلافة المتوكل (٨٤٧-٨٦١)، اُستُبدِلَ المسؤولون المسلمون كلهم بالمسيحيين. وفي عام ٨٦١، فُصل المسؤول المسيحي عن مقياس النيل (عمود متدرج أو سطح رأسي يعمل علىٰ قياس ارتفاع منسوب مياه النيل أثناء فيضاناته السنوية، وكذلك لمعرفة صفاء مياهه) في الفسطاط لصالح مؤذن جامع عمرو، عبد الله أبو الرداد، الذي أصبح منصبه متوارثًا (القلقشندي، ١٩١٤، ص ٢٩٩). وفي نهاية الحقبة العباسية، ومرةً أخرىٰ في عهد الدولة الطولونية، أُعِيدَ بعض المسؤولين المسيحيين إلىٰ الإدارة.

لعبت النخبة الدينية أيضًا دورًا مهمًا في مجتمع الفسطاط المسيحي نفسه. في الواقع، كانت المدينة أسقفية مهمة، كما كانت بابليون ومنف من قبل، (Westerfeld 2013)[1]. خلال القرن الثامن، عُقد المزيد من المجامع في العاصمة الجديدة بدلًا من الإسكندرية، التي ظلت، رغم ذلك، مقرًّا للبطريركية حتىٰ القرن الحادي عشر. ويمكن تفسير هذا التحول من خلال الوجود المتزايد لبطريرك الأقباط في عاصمة مصر الجديدة، خاصة في المناسبات المهمة. علىٰ سبيل

(١) كانت بابليون أسقفية منذ منتصف القرن الخامس علىٰ الأقل، كما يشهد بذلك حضور أسقف بابليون في مجمع أفسس عام ٤٤٩.

المثال، تم ترسيم البطريرك إسحاق عام ٦٨٩ في كنيسة القديس سرجيوس بحضور العديد من الأساقفة والعلمانيين المسيحيين في مصر. وبحسب تاريخ البطاركة، كان ترسيمه هو أول حدث من نوعه يجري في الفسطاط. في وقت لاحق، وفي العام ٧٤٢، تم ترسيم البطريرك الملكي كوزماس في المدينة بعد شغور الكرسي البابوي مدة تسعين عامًا[١].

يجدر بنا هنا أن نسلّط الضوء على حقيقة مهمة: لم يكن السكان المسيحيون في الفسطاط تجمعهم عقيدة دينية واحدة. فقد كانت الأغلبية القبطية (أو المنوفيسيون الذين يعتقدون في طبيعة واحدة للمسيح) تعيش إلى جانب الأقلية الملكية (أو الديوفيسيت الذين يعتقدون في طبيعتين للمسيح)، والذين لم يكن لهم كنائس في العاصمة حتى الربع الثاني من القرن الثامن. في الواقع، وكما هو مذكور في تاريخ البطاركة، استولى الفاتحون المسلمون، بعد الفتح العربي لمصر، على أماكن عبادة الملكيين وقاموا بتسليمها إلى الأقباط. وفي العام ٧٢٥، تمكن الملكيون من استعادة بعض أماكن العبادة الخاصة بهم، التي لم تكن واقعة ضمن نطاق مدينة الفسطاط. ومن ناحية أخرى، لم يكن التنوع الديني لمسيحيي الفسطاط مقتصرًا على ثنائية المنوفيسيين والديوفيسيتيين. فقد كان المجتمع القبطي نفسه يعج بالعديد من النزعات الدينية. على سبيل المثال، مثَّل البارسانوفيانيين، الطائفة الراسخة في العاصمة، تيارًا انشقاقيًّا داخل المنوفيسية؛ لأنهم لم يعترفوا بسلطة البطريرك التي ترجع إلى القرن الخامس. وفي بداية القرن الثامن، في عهد البطريرك مارك الثاني، تراجعوا عن انفصاليتهم وعادوا إلى المنوفيسية. وبحسب تاريخ البطاركة، فقد كانوا يمتلكون كنائس وأديرة في مدينة الفسطاط، ربما على الضفة الشرقية لنهر النيل.

لم يكن مجتمع الفسطاط المسيحي متنوعًا من حيث المعتقدات الدينية فحسب، بل كان أيضًا خليطًا من طوائف اجتماعية-اقتصادية مختلفة. وبينما تركز المصادر الأدبية على النخبة المسيحية في العاصمة، تنبئنا البرديات عن طوائف

(١) الملكيون طائفة من المسيحيين الشرقيين الذين التزموا الإيمان الأرثوذكسي كما هو محدد في مجامع أفسس (٤٣١ ميلادية) وخلقيدونية (٤٥١ م) وكما التزمه الإمبراطور البيزنطي.

أخرىٰ من السكان، خاصة عمّال الريف المصري الذين استقروا بشكل مؤقت في الفسطاط. تكشف برديات أرشيف Senouthios anystes، التي يرجع تاريخها إلىٰ سنة ٦٤٣/ ٦٤٤ -بعد عامين فقط من تأسيس الفسطاط- عن مكاتبات بشأن إرسال مواد البناء والعمّال من إقليم مصر الوسطىٰ إلىٰ منطقة بابليون. وتشير وثائق البرديات التي ترجع إلىٰ نهاية القرن السابع وبداية القرن الثامن (Apollonos Ano and Aphrodito archives; see Chapter4) أيضًا إلىٰ العمّال -الذين يُسمَّون في بعض الوثائق بـ «رجال بابليون»- الذين أُرسلوا إلىٰ بابليون لبناء العاصمة الجديدة. فمن هم هؤلاء العمّال؟

أولًا: يمكننا أن نفترض بثقة أن غالبيتهم العظمىٰ كانوا مسيحيين، ونادرًا ما كان منهم يهود. ثانيًا: لقد كانوا مجندين إلزاميين، وبعبارة أخرىٰ، طُلب منهم مغادرة قراهم لتنفيذ واجباتهم في العاصمة. كان هؤلاء الرجال من أصحاب الصناعة، من النجارين والحدادين وصانعي الجلود، وما إلىٰ ذلك، وقد عملوا في الترسانة القائمة في جزيرة الروضة بالقرب من بابليون وفي مواقع تشييد أخرىٰ مثل صوامع الحبوب والإسطبلات والمساجد وقصر الحاكم وغيرها من الأماكن. وتشير أوراق البردي إلىٰ أن هؤلاء العمال مكثوا عادةً في العاصمة بين شهر وسنة، ولكننا لا نعرف بالضبط أين أقاموا. وقد كشفت الحفريات التي قام بها المعهد الفرنسي للآثار الشرقية في القاهرة عن بنايات صغيرة من الطوب ربما كانت مساكن لهؤلاء العمال المسيحيين (Gayraud 1998a, p. 439). وإذا كانت الحال كذلك، فقد عاش هؤلاء العمال المجندين بعيدًا عن حي الحمراء المسيحي الموصوف آنفًا، ويُفترض أنهم لم يكونوا علىٰ اتصال كبير بالمسيحيين المقيمين بشكل دائم في الفسطاط. كما تكشف أوراق البردي أيضًا أن بعضهم حاول الفرار من العاصمة، بأعداد كبيرة أحيانًا.

وعلىٰ الرغم من توثيق البرديات لوجود مجندين مسيحيين في الفسطاط، إلا أن جميع المسيحيين الذين عملوا مؤقتًا في العاصمة لم يُجبروا علىٰ ذلك. ويُظهر عدد من وثائق «الإدارة الآمنة» في العصر الأموي والعباسي المدونة علىٰ ورق البردي أن بعض العمال سُمح لهم بالسفر من مكان إقامتهم لفترة محددة مدونة في

تصريح السفر، وغالبًا كانوا يسافرون من أجل العمل (لكسب ما يكفي من المال لدفع ضرائبهم). ونحن نعلم أن هناك ثلاث اتفاقيات للإدارة الآمنة تسمح للمسيحيين (عبد واثنين من الرهبان) بالبقاء في الفسطاط للعمل (RAgib 1997).

الطوبوغرافيا المسيحية للفسطاط: نظرة عامة

لا تدّعي هذه الورقة أنها تقدّم صورة مكتملة لمسيحيي الفسطاط في تلك الحقبة. ومع ذلك، توضح الورقة أن هؤلاء المسيحيين مثّلوا طوائف اجتماعية-اقتصادية (بل حتىٰ دينية) مختلفة، ولم يكونوا مجتمعًا متجانسًا. وبالأسلوب ذاته، كانت المدينة تتألف من مناطق مختلفة -بعضها ذي أغلبية مسيحية- تقابل جماعات مسيحية مختلفة. كان معظم سكان حيّ الحمراء من النخبة المسيحية (سواء أكانوا من رجال الدين أم العلمانيين)، في حين كانت جزيرة الروضة يتردد عليها العمال المسيحيون في الغالب. وبعيدًا عن الحقبة الزمنية الأولىٰ الموصوفة آنفًا، عاش المسلمون والمسيحيون جنبًا إلىٰ جنب في أحياء «ذات غالبية مسيحية» أو «ذات غالبية مسلمة». فلم تُطبّق سياسة الفصل في الفسطاط (Denoix 1992, p. 91). وإلىٰ جانب الحمراء والروضة، كانت هناك مناطق أخرىٰ يسكنها عدد كبير من المسيحيين: مثل حصن بابليون، علىٰ سبيل المثال، الذي كان يعرف باسم «قصر الشمع» ويقع في وسط المدينة. وعلىٰ مشارف الفسطاط، عاش السكان المسيحيون بالقرب من بركة الحبش في الجنوب الغربي، وفي مدينة حلوان، التي أسسها الوالي عبد العزيز بن مروان جنوب العاصمة في عام ٦٨٩/ ٦٩٠، وفي الجيزة، علىٰ الضفة الغربية لنهر النيل. كانت كنائس المدينة الرئيسية قائمة في تلك الأحياء، ومن المحتمل كثيرًا أن تعود الغالبية العظمىٰ منها إلىٰ تلك الحقبة الإسلامية المبكرة.

تأسست أول كنيسة في الفسطاط، كما يدّعي ابن الحكم، في وقتٍ بين عام ٦٦٧ و٦٨٢ شمال المنطقة التي خُصِّصَتْ للمسيحيين واليهود الذين كانوا في جيش عمرو بن العاص، في الجزء الشمالي من العاصمة. وأظهرت الكشوفات الأركيولوجية (Sheehan 2010) أن كنائس قصر الشمع شُيّدت خلال الفترة نفسها، وبالتالي لا يمكن أن تعود إلىٰ حقبة ما قبل الإسلام، خلافًا لما جادل به العديد

من الباحثين (Badawy 1947; Butler 1978; Habib 1967). في الواقع، احتفظ قصر الشمع بدوره العسكري حتىٰ الفتح العربي، ولم يكن من الممكن بناء الكنائس قبل قناة تراجان -التي انسابت عبر الحصن- في نهاية القرن السابع. علاوة علىٰ ذلك، فإن أول كنيسة داخل أسوار الحصن مذكورة في المصادر هي كنيسة القديس سرجيوس، حيث تم ترسيم البطريرك إسحاق في العام 689 (Mena of Nikiou's Life of Isaac, Bell 2009). تعتبر هذه الأمثلة القليلة ذات صلة وثيقة بالموضوع؛ لأنها تبيّن أنه حتىٰ الثلث الأخير من القرن السابع، لم يكن حصن بابليون ولا حيّ الفسطاط الشمالي يُعد جزءًا من العاصمة. كان الأول ينتمي إلىٰ مدينة بابليون -التي ذابت تدريجيًّا في الفسطاط- بينما كان الأخير يقع «وراء القنطرة» كما يقول ابن الحكم، وبعبارة أخرىٰ، خارج مدينة الفسطاط. مع اتساع المدينة تدريجيًّا، ابتلعت تلك المباني، مما أثار إشكالية فقهية عن مدىٰ مشروعية وقوع تلك البنايات في العاصمة الإسلامية. وفي العام ٧٣٥، أذن الوالي الوليد بن رفاعة بترميم كنيسة القديس مينا، مما أثار غضب جماعة من المسلمين الذين أكدوا أن وجودها غير جائز في المدينة (الكندي، ١٩١٢، ص٧٧-٧٨). وفي عام ٧٨٥، دُمِّرَتْ كنيسة أخرىٰ في الحيّ، مكرسة لمريم العذراء، بأمر من الوالي علي بن سليمان العباسي (المرجع نفسه، ص١٣١). بينما سمح خلفه موسىٰ بن عيسىٰ للمسيحيين بإعادة بنائها. وهناك الكثير من الأمثلة الأخرىٰ علىٰ تدمير وبناء وإعادة بناء أماكن العبادة المسيحية في القرون الثلاثة الأولىٰ من الهيمنة الإسلامية، والتي يبدو أنها كانت فترة «حمل فقهي»[١]. فحتىٰ هذه

(١) تجادل الباحثة في ورقة أخرىٰ لها بأن الموقف الفقهي حيال أهل الكتاب، كما يرد في الأدبيات الفقهية ولا سيما في بنود «الشروط العمرية» من المحتمل أن يكون صيغ فقط أيام الخلفاء العباسيين. حينئذ، اعتمدت عمليات بناء وترميم الكنائس علىٰ العلاقة بين الوالي وقيادات الكنيسة، وتقدّم الأدبيات العديد من الأمثلة علىٰ ذلك، يمكن العثور علىٰ معظمها في كتاب تاريخ بطاركة الإسكندرية. ومن ثمّ، لا تدعم الحقائق التاريخية الوضع الفقهي للكنائس والمعابد اليهودية كما نُصَّ عليها في النصوص التشريعية الإسلامية. راجع ترجمتي لورقة المجتمعات المسيحية واليهودية في الفسطاط: طوبوغرافيا غير إسلامية وسجالات فقهية ما قبل العصر الفاطمي. المترجم.

الفترة، لم تكن هناك أحكام فقهية واضحة تجاه المسيحيين بشكل عام أو مبانيهم الدينية بشكل خاص.

كان الموقف من المقابر المسيحية أقل تعقيدًا خلال هذه الفترة. إذ كانت مقابر سكان الفسطاط تقع خارج المدينة، ومنفصلة تمامًا عن مقابر المسلمين. ثمة ثلاث جبانات قبطية خلال الحقبة ما قبل الفاطمية: واحدة تقع في جنوب شرق المدينة، بالقرب من تلال المقطم، والأخرىٰ داخل حصن بابليون (قريبًا جدًّا من وسط المدينة)، بجانب كنيسة القديسة بربارة، والثالثة في الموقع الحالي لقلعة صلاح الدين (Ragib 2010). وعندما أسس الحاكم أحمد بن طولون عاصمته شمال مدينة الفسطاط، قام، من أجل راحته، بتدمير هذه المقبرة الأخيرة ومقبرة يهودية أخرىٰ تقع بجوارها (الكندي،١٩١٢، ص ٢١٥). بينما وارىٰ الملكيون موتاهم في فناء الكنيسة. علىٰ سبيل المثال، دُفِنَ المسيحيين العظماء من طائفة الملكيين في كنيسة القديس ثيودور، جنوب الفسطاط (أبو المكارم، ١٨٩٥، ص ١٣٦).

وفي غضون قرنين من الزمان، تحولت الفسطاط من حامية عسكرية إسلامية إلىٰ مدينة متعددة الديانات تعيش فيها أقلية مسيحية إلىٰ جانب الأغلبية المسلمة. ومع ذلك، ضمّت العاصمة المصرية، في الحقبة ما قبل الفاطمية، أكثر من عشرين كنيسة مسيحية، مدمجة جيدًا في المشهد الحضري للمدينة.

وفي العام ٩٦٩، عندما تأسست القاهرة شمال شرق الفسطاط لتكون العاصمة الفاطمية الجديدة، استقبلت المدينة بسرعة عددًا كبيرًا من السكان المسيحيين. ويعتبر الحيّان المسيحيان، حارة زويلة وحارة الروم، دليل واضح علىٰ ذلك. إن الفترة الممتدة من الفتح العربي لمصر وحتىٰ العصر الفاطمي هي بلا شك ذروة حضور مسيحيي الفسطاط - القاهرة، الذين واجهوا اضطهادهم المنهجي الأول -تدمير دور عبادتهم خاصةً- خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر في ظل حكم المماليك (El-Leithy 2006).